

240423 - هل صحت قراءة : (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) بالجرّ عن أحد من السلف ؟

السؤال

هل صحيح أن الحسن بن علي رضي الله عنهما قرأ قوله تعالى: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) بجر كلمة "رسوله" ؟
فقد احتج أحدهم بهذه الرواية للزعم بأن الإعراب لا فائدة منه ، فكلمة "رسوله" قرئت بالرفع والنصب والجر، وإذا كانت رواية قراءة الحسن رضي الله عنه صحيحة ، فهل يصح أن يقال: إن كلمة "رسوله" جُرت بالمجاورة كما زعم بعضهم ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

قال الله تعالى :

(وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) التوبة/ 3

والمعنى : أن الله برئ من المشركين ، ورسوله برئ منهم .

وقد قرأ جماهير القراء هذه الكلمة : (ورسوله) بالضم ، على الابتداء ، وخبره محذوف ، والتقدير: "وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ".

وقرئ (ورسوله) بالنصب، عطفا على لفظ الجلالة المنصوب به (أنّ) .

وقرئ - شاذاً - (ورسوله) بالخفض ؛ على إرادة القسم ، أو المجاورة .

وهذه قراءة شاذة ، رويت عن الحسن البصري - وليس الحسن بن علي - ولا تصح عنه ،

ولا تجوز هذه القراءة عند العلماء ؛ لأنها توهم أن الله بريء من المشركين ، ومن رسوله ، وهذا باطل محال، واعتقاده كفر.

وفي القول بالخفض هنا على الجوار ، أو القسم : تكلف واضح ، لا حاجة إليه ما دامت القراءة لم تثبت .

قال أبو حيان رحمه الله في "البحر المحيط" (5/ 367):

"قَرَأَ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، وَعَيْسَى بْنُ عَمَرَ، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: (وَرَسُولُهُ) بِالنَّصْبِ، عَطْفًا عَلَى لَفْظِ اسْمِ أَنْ. وَأَجَازَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ .

وقرئ بالجرّ شاذّاً، وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ . وَخَرَّجَتْ عَلَى الْعُطْفِ عَلَى الْجَوَارِ ، كَمَا أَنَّهُمْ نَعَتُوا وَأَكْدُوا عَلَى الْجَوَارِ. وَقِيلَ: هِيَ وَאוُ الْقَسَمِ.

وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِالرَّفْعِ فَعَلَى الْإِبْتِدَاءِ، وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ أَيُّ: "وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ"، وَحُذِفَ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ "انتهى .

وقال ابن عاشور رحمه الله:

"وَعُطِفَ (وَرَسُولُهُ) بِالرَّفْعِ ، عِنْدَ الْقُرَاءِ كُلِّهِمْ: لِأَنَّهُ مِنْ عَطْفِ الْجُمْلَةِ، لِأَنَّ السَّامِعَ يَعْلَمُ مِنَ الرَّفْعِ أَنَّ تَقْدِيرَهُ: "وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"، فَفِي هَذَا الرَّفْعِ مَعْنَى بَلِيغٌ مِنَ الْإِيضَاحِ لِلْمَعْنَى ، مَعَ الْإِبْجَازِ فِي اللَّفْظِ، وَهَذِهِ نُكْتَةٌ قُرْآنِيَّةٌ بَلِيغَةٌ.

وَمِمَّا يَجِبُ التَّنْبِيهُ لَهُ: مَا فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ أَنَّهُ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ قِرَاءَةً (وَرَسُولِهِ) - بِالْجَرِّ - وَلَمْ يَصَحَّ نَسْبُهَا إِلَى الْحَسَنِ . وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ جَرُّ (وَرَسُولِهِ) ، وَلَا عَامِلٌ يَقْتَضِي جَرَّهُ؟! انتهى من " التحرير والتنوير" (109 / 10) .

وقال الشوكاني رحمه الله :

" قَوْلُهُ: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)

وَقُرِئَ (وَرَسُولِهِ) بِالْجَرِّ عَلَى أَنَّ الْوَاوَ لِلْقَسَمِ ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ ضَعِيفَةٌ جِدًّا، إِذْ لَا مَعْنَى لِلْقَسَمِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاهُنَا ، وَقِيلَ إِنَّهُ مَجْرُورٌ عَلَى الْجَوَارِ " .

انتهى من " فتح القدير " (381 / 2) .

وقال الشيخ عبد القادر العاني رحمه الله:

" (رسوله) مرفوع، وقرأه بعضهم منصوبا ، عطفا على لفظة الجلالة ، أي أن الله برىء ، وأن رسوله برىء منهم.

ولا تجوز قراءة الجر على زعم الجر بالتوهم أو بالمجاورة أو بالتبعية " .

انتهى من " بيان المعاني " (405 / 6) .

وقول القائل : " أن الإعراب لا فائدة منه " نظرا لتعدد القراءات في الآية الواحدة ، فيقال من جوابه : " بل تعدد القراءات أدل على أهمية الإعراب ، وأدعى للعناية بالعربية وعلومها ! فإنه إذا كانت هذه القراءة صحيحة ، فالإعراب وعلوم العربية هي التي تبين المعنى الصحيح لذلك، وتنفي الباطل ، وترفع الإشكال . وإن كانت باطلة ، فلا وجه للاحتجاج بها ، ثم إن بطلانها من حيث المعنى ، يتوقف على معرفة العربية والإعراب أيضا .

قال ياقوت الرومي رحمه الله : " وبعد فهذه أخبار قوم أخذ عنهم علم القرآن المجيد، والحديث المفيد وهم أنهجوا طريق العربية ، وأناروا سرجه المضئية وبصناعتهم تنال الإمارة ، وببضاعتهم يستقيم أمر السلطان والوزارة، وبعلمهم يتم الإسلام ، وباستنباطهم يعرف الحلال من الحرام. ألا ترى أن القارئ إذا قرأ (أن الله برىء من المشركين ورسوله) - بالرفع - فقد سلك طريقا من الصواب واضحا، وركب منهاجا من الفضل لائحا، فإن كسر اللام من **رسوله** كان كفرا بحتا وجهلا قحّا ؟" انتهى ، من "معجم الأدباء" (1/10) .

وقد قيل : إن هذه القراءة ، كانت السبب في وضع علم النحو . " قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَخَذَ أَبُو الْأَسْوَدِ عَنْ عَلِيٍّ الْعَرَبِيَّةَ، فَسَمِعَ قَارِئاً يَقْرَأُ: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ) - بِكَسْرِ اللَّامِ بَدَلًا عَنْ ضَمِّهَا - التَّوْبَةُ/ 3 ، فَقَالَ: " مَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَمْرَ النَّاسِ قَدْ صَارَ إِلَى هَذَا " - انتهى من "النبلاء" (4/83) ، وانظر : "معجم الأدباء" (4/1466) .

وينظر قصة قريبة منها ، لعمر بن الخطاب ، مع أعرابي قرأ الآية بالجر في "نزهة الألباء"، لابن الأنباري (19-20) . والله تعالى أعلم .